ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة المعيار
AL-MIEYAR Journal
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/317
المجلد: 12 /العدد: 01 (2021) ص 1-12

إستراتيجية تحليل الخطاب الروائي في الواقع الغربي المعاصر

(قراءة في المنجزات الغربية)

Fictional Discourse Analysis Strategy In Contemporary Western Reality(reading in western achievements)

د. بوركبة بختة

جامعة تيسمسيلت

الجزائر

tbourekba@yahoo.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 02 ماي 2021

تاريخ القبول: 16 ماي 2021

الكلمات المفتاحية:

- ✓ الخطاب، تحليل الخطاب
- ✓ الرواية، نظرية الأغراض
- ✓ قراءة النص، المعنى
- ✓ الحكاية، القصة

الملخص:

نحاول في هذه الورقات البحث التنظيري لمفهوم الخطاب وتحليل الخطاب من واقعه الغربي، حيث أسهم هذا الأخير في برمجة الواقع النقدي وتكييفه وفق الآليات المقترحة، إذ يتجاوز الفكر الروائي خصوصيته ليتبنى أهم المحطات التنظيرية الغربية انطلاقا من رؤية الشكلانيين الروس بدءا بإيخنباوم وتوماشفسكي إلى تودروف وجيرار جنيت، حيث سنبحث عن أهم الإجراءات المقترحة لقراءة النص الروائي، وكل هذا الزخم الهائل من الطرح الفكري يحاول أن يضع إستراتيجية محورية لفهم الخطاب وتحليله، وتمكين القارئ من محاولة استخراج المعنى، والتقفي وراء الرمزيات المخبوءة، والاحتمالات التأويلية.

Article info

Received 02 May 2021

Accepted 16 May 2021

Keywords

- ✓ discourse
- ✓ discourse analysis
- ✓ novel
- ✓ theory of purposes
- ✓ reading of the text
- ✓ meaning
- ✓ anecdote
- ✓ story

Abstract :

In these papers, we try to theoretically examine the concept of discourse and analyze discourse from its western reality, as the latter contributed to programming the critical reality and adapting it according to the proposed mechanisms, as fictional thought goes beyond its specificity to adopt the most important Western theoretical frameworks based on the vision of Russian formalists starting with Ekhnbaum and Tomashevsky to Todorov and Gerard Janet. Where we will search for the most important proposed procedures for reading the narrative text, and all this tremendous momentum from the intellectual proposition is trying to develop a pivotal strategy for understanding and analyzing the discourse, enabling the reader to try to extract the meaning, and tracing behind the hidden symbolism and interpretive possibilities.

www.manaraa.com

يصنع تحليل الخطاب الروائي المعاصر حالة من التراكمات المعرفية الابستيمولوجية التي تحاول أن تستنطق النص وتستخرج أهم بنياته اللغوية ودلالاته المتعددة، فالممارسة النصية تستند على مرتكزات تحاول أن تخترق كنه النص، والتي يمكن اعتبارها آليات وإجراءات منظمة أو قواعد نسبية لينة تحتكم على الظاهر إستراتيجية النصي، من أجل تبلور مجموعة من الاستثمارات الدلالية التي قد تكون لانهائية تأويليا أو تعكس روح الجمالية فيها.

ولعل النص الروائي يمتاز بخصوصية داخل الإطار المورفولوجي من خلال تقنيات سردية مُشكلة من: زمان ومكان وسرد وشخصيات،تمارس طقوس الأحداث الروائية، وتصنع خبايا النص الروائي، حيث عُني الناقد الغربي بهذه الاعتبارات النصية وأراد أن يشتغل على هذه الميكانيزمات في تحليل الخطاب الروائي، فكيف نُظِّر لتحليل الخطاب الروائي؟ وما هي أهم مكونات الخطاب التي صنعت نظريات الرواية؟ وقبل هذا، ما المقصود بالخطاب؟ وماهي أهم قضاياه؟

1 . مفهوم الخطاب:

يُشّكل مصطلح الخطاب أهمية بالغة في الدراسات الحديثة والمعاصرة، حيث يستقطب مفهومه وتنظيره اهتمامات المعاصرين في الساحة الأدبية والنقدية، إذ يسعى (الخطاب) إلى تلاحم عضوي يقترن بإفرازات معمارية داخل الفكر.

إنَّ الحديث عن الخطاب كإطار نظري يستوجب البحث داخل مدلولات اللفظة وتشاكلها اللغوي والمعجمي بآلية المصطلح، فترتكز معطياته نحو الالتفات بعلائقية الدلالة اللغوية باعتبارها حاجة ملحّة لفهم المقصود.

أ . الخطاب في اللغة:

يرتكز الجانب اللغوي للفظة حول ما جاء به ابن منظور في كتابه لسان العرب، فقد ورد داخل مادة الفعل الثلاثي (خَ طَ بَ) ما قوله: "خَطَبَ فُلان إلى فُلان،فَخَطَبَه أو أخْطَبَه: أيْ أَجَابَهُ، والخِطَابُ والمخَاطَبَة: مُراجَعَةُ الكَلاَمِ، وقَدْ خَاطَبَهُ بالكَلاَمِ مُخَاطَبَة وخِطَابًا، وهُما يَتَخاطَبَانِ، والخَطْبُ: سَبَبُ الأمر، والخُطْبَةُ: مَصْدر الخَطِيب، وخَطَبَ الخَاطِبُ على المنبر، واخْتطَبَ، يَخْطِبُ خَطَابَةً، واسم الكلام الخُطْبَةُ. قال أبو منصور والذي قال الليث: إنَّ الخُطْبَة مصّدر الخَطِيب، ولا يجوز إلا على وجه واحدٍ؛ وقال الأزهري: نقول هذا خَطْبٌ جَليلٌ، وخطب: يَسُر، وجَمعُه خُطُوبٌ"[1].

يروم الاشتقاق اللغوي للفعل خَطَبَ نحو الاهتمام بصنوف الكلام حيث تقود الدلالة الأولية بالفهم أنَّها تستوعب مادة لغوية تترجم جوانب فكرية مقصودة من خلال خطاب موجه.

يؤسس الجانبُ اللغوي أيضا في معجم (العين) ما معناه أنَّ "الخَطْبَ: سَبَبُ الأمر (الذي تقع فيه المخاطبة)، والخِطَابُ:مُراجَعَةُ الكَلاَمِ (تبادله بين اثنين أو أكثر) والخُطْبَةُ مَصّدر الخَطيب"[2].

تتفق دلالات اللفظة إلى اعتبار أنَّ الخطاب نسق من الكلام المقصود، وما يفيد أيضا رسالة ضمنية محتواة فيها تُعنى بوصولها إلى مرسل إليه، وبالتالي تخضع لنمط معين أو آلية لوصول هذه الرسالة؛ فتشكّل نوعا من التواصل والتراسل بين طرفين .

www.manaraa.com

ذُكِر اشتقاق لفظة الخطاب داخل القرآن الكريم في أكثر من موضع،حيث يُحصي المتصفّح استخدامها في "اثنتي عشرة مرة موزعة على اثنتي عشرة سورة "[3].

ويذكر أنَّ مصّدر الفعل قد وظف أيضا مثل قوله تعالى:"وشَدَدَّنَا مُلْكَهُ وأتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وفَصْلُ الخِطَاب"[4].

تحتكم الدلالة الفعلية للخطاب على التنويع داخل المجال المضموني الذي تؤديه، إذ يستقيم المعنى في الحكم بالبيّنة والفصل بين الحق والباطل، حيث يورد عبد الرحمان السعدي دلالته في الآية السابقة بمعنى:" وقد ذكر مِنَّته عليه بالعلم فقال: وأتَيْنَاه الحِكْمَةَ وفَصْل الخِطَاب؛أي الخصومات بين النَّاس "[5].

تضمّ المعاني الموجودة في الحقل اللغوي والدراسات القرآنية أنَّ للخطاب برنامجاً تواصلياً يضمّ كفتين بينهما رسالة لغوية تؤدي غرضا مقصديا ومفهوميا

ب – الخطاب في الاصطلاح:

إنَّ المستقرئ للمصطلح يجد أنَّ الاستعمال المعاصر قد وسّع من دلالة الخطاب ليحوي مجالات الفكر والمنهج والرؤية والتصور؛ وتشعبت بذلك محتوياته فألفينا ما يسمى بالخطاب الأدبي والخطاب الثقافي والسياسي وغيرها.

يعد مصطلح الخطاب من المصطلحات والمفاهيم التي خلفتها الحداثة الغربية وكانت صدى لبداية البنيوية،عندما " أوشكت فيها الأنماط القديمة والافتراضات العتيقة على الزوال"[6]،بل تجاوزت تغيير مختلف الأفكار.

تشاكل مصطلح الخطاب في أدبنا العربي بالمرادف اللغوي له، المتمثل في Discoure باللغة الفرنسية، وباللغة الانكليزية بـ Discours؛ ولعلّ المعنى الاصطلاحي يتوافق ويتغير مع كل محطة تاريخية سجلت اهتمامها به، لذلك كان من المهم مقاربة المفهوم مع ما يواكبه في زمنه أي في لحظة نشأته.

2 . الخطاب في التراث القديم:

إنَّ الباحث في الأصول المعرفية للخطاب وتطوره الزمني والتاريخي يجد أنَّه كان يلتفّ حول مصطلح آخر يتمثل في الخطابة، وقد ارتبطا بعضهما ببعض.

إنَّ الأهمية التي يعلن عنها التراث القديم في خضم الخطابة تؤكّد على فعاليتها " في النصوص التراثية. فالخطابة في ميدان النثر بمنزلة القصيد في ميدان الوزن، فهي الإطار المثالي الذي تتجلى فيه البلاغة النثرية"[7].

تكمن المقاربة في المصطلحين داخل الشأن التراثي القديم من زاويتين اثنتين:

الزاوية الأولى يمثلها تأسيس فن الخطابة في الدراسات القديمة من خلال اقترانها بالمفهوم اليوناني الذي جسده أرسطو طاليس في كتابه (فن الخطابة)، حيث يُعدّ هذا الكتاب مُهّماً لمعرفة أطرها وماهيتها، وبذلك كان سباقاً في معالجة هذا الجنس الأدبي قبل العرب.

أما الزاوية الثانية في التأصيل للخطاب بالمنحى الذي تطرقت له الدراسات العربية القديمة، حيث تناولت هي الأخرى مفهوم الخطابة معلنة بذلك التمازج القائم مع البلاغة العربية.

www.manaraa.com

يعرّف أرسطو في كتابه مفهوم الخطابة أنَّها " القدّرة على النَظَرِ في كل ما يوصل إلى الإقناع في أي مسألة من المسائل، أو هي القوة التي تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة، ذلك أنَّ الخطابة بخلاف كل الصنائع الأخرى موضوعها النظر في أيّة مسألة من المسائل من ناحية ما يُوصِل إلى الإقناع "[8].

يهتم أرسطو في تأسيسه على ماهية وأهمية الوسائل اللغوية التي يصبح فيها الكلام مقنعا، لتصبح وظيفة الإقناع المرتكز الأساس، ويوضح بذلك الاشتغال على القيمة التواصلية في فعل الخطابة من منظور الصناعة اللغوية للكلام.

يشترك الخطاب والخطابة بالكُمُون المعرفي الذي جسده أثناء تقديمه لمراحل وآليات هذه الأخيرة، وهذا ما نجده في قوله: "والكلام نفسه مركبٌ من ثلاثة: من القائل والمقول فيه، ومن الذي إليه القول؛ والغاية إنَّما هي نحو هذا: أعني السَّامع، فالسَّامع لا محالة إنَّما نظَّار وإمَّا حاكم، والحَاكِمُ إمَّا في المستقبلات، وإمَّا في اللائي قد كنَّ"[9].

إنَّ للخطابة شروطاً وأركاناً واجب توفرها لتحقيق التواصل، حيث تكمنُ في وجود صيغة لغوية تتحدد بالمقولة، وصاحبها ومتلقيها، إذ تعكس هذه الصيغة التي اقترحها أرسطو بنية الاقتران بالمصطلح المراد دراسته، غير أنَّ الخطابة تتركز أكثر في منحى شفاهي قائم على الحضور الآني؛أي زمن الخطبة، وكذا على التواصل في وقت معيّن والاعتماد على لغة الحوار.

تضمّ الخطابة القيمة اللغوية التي تؤديها رسالة، وتشكل قيمة رهانها بتوسيعها في أطياف الفكر" الذي يتوسل به الإنسان إلى توسيع نطاق اللغة وتنظيمها، فيدخل فيها عند الحاجة كلمات جديدة أو يبدع فيها أساليب طريفة، ويضع لها قواعد تساعد النَّاس على تعلمها، وتحفظهم من الخطأ عند النطق "[10]

تظهر مقاربة المصطلحين تحديد معالم الوسائط المشتركة بينهما، حيث يركزان على الأهمية التواصلية في النظام، وتستمد البنية التركيبية لهما على معمارية لغوية جمالية، وهيكلة تضم طرفي مراسلة، بالإضافة إلى كونهما يشتغلان على طرح فكري.

تقوم الخطابة في تراثنا العربي على معمارية البلاغة، فقد عكست ذلك " الجنس الأدبي النثري القائم على المشافهة، والتماس كل السبل لإقناع السامع بفكرة أو رأي"[11]

تقوم فنيات التنظير العربي على التماثل في التأسيس الذي وضعه أرسطو، حيث تشتغل الخطابة بنفس الميكانيزمات التي أحدثها، وأيضا بتركيزه على دور التفاعل وتفعيل دور الإقناع ليصبح لب الكلام.

وقد ذكر الجاحظ في كتابه (البيَّان والتبيين) ما يتعلق بتأسيس فن الخطابة " واستحداث تعليمها عند العرب في حواضر العلم "[12].

أمَّا فيما يتعلق بالمصطلح الأساس، فقد تناولته البلاغة العربية بالحديث عن أهميته ومنابعه التي أساسها" المواجهة بالكلام، واختطب القوم فلانا إذا توجهوا إليه بخطاب "[13].

وهناك من يضع الكلام بمنزلة الخطاب، ويرد ذلك عند النحاة كإبن آجروم حيث يقول:" الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع"[14].

www.manaraa.com

تحوي المقولة السابقة الصورة التبيسطية للكلام، الذي هو الإطار العام المركب من ألفاظ وجمل عُني فيها الانتقاء الخاص حتى تناسب الغرض المطلوب فيها، وبذلك يوضح ابنُ آجروم بلغة مكثفة ومركزةً احتواء فعل الكلام لمقتضيات الخطاب.

يفسر أبو البقاء الكفوي (ت **1094**) في كتابه (الكليات) الدلالة المعنوية التي يحققها الخطاب بقوله: " هو الكلام الذي يقصد الإفهام، إفهام هو من أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنَّه لا يسمى خطابا"[15].

يُفعّل بذلك الكفوي عملية الفهم والإفهام باعتبارها القيمة الفعلية والمنطقية التي ترجى منه، حيث تعكس بذلك أهمية توصيل الكلام، لتصبح عملية الفهم هي سلطة في الخطاب، وكلما تحقق الفهم بلغنا منه درجات.

استخدم عبد القاهر الجرجاني (ت **471** هـ) دلالة الخطاب من دلالة النظم في القول، وجودة السبك، التي تخضع لها الصناعة اللفظية حيث يقول:" إذا كان النظم سويا والتأليف مستقيما، كان وصول المعنى إلى قلبك تلوى وصول اللفظ إلى سمعك؛ وإذا كان على خلاف ما ينبغي وصل اللفظ إلى السمع، وبقيتَ في المعنى تطلبه وتتعب فيه "[16].

إنَّ القيّمة الفعلية التي تنمّ عنها الصناعة اللفظية هو توصيل الرسالة في تمام جودتها ومعناها، فإذا كان اللفظ يُلبِس المعنى غرضه تحققت الفائدة وتجاذبه طرفا الخطاب.

يركّز العالم والمنظر العربي عبد القاهر الجرجاني على اللغة في مجالها النحوي،الذي ينظم العلاقات الجزئية بين الشكل الظاهري المتمثل في اللفظ ودلالة المعنى إضافة إلى مقصدية المؤلف التي يقيّمها المتلقي، يقول: " فإنَّ الاعتبار ينبغي أن يكون بحال واضع الكلام، والواضع له، والمؤلف له، والواجب أن ينظر إلى حال المعاني معه لا مع السابق "[17].

يسجل الكلام ثلاثة أركان رئيسية في المحتوى الخطابي القائم على الإسناد؛ إذ يمثل بذلك ما يتجلى في المسند، بأنَّه الرسالة المقصود تأديتها في حديث الكلام، وناقل الإسناد: أي الباث والمسند إليه لإحداث فائدة الكلام.

تتربع الألفاظ على عرش اللغة فينفتح الخطاب من زاوية المحدودية إلى ترجمة ما وضع له أو يزيد، وذلك باختلاف مقتضيات السيّاق الذي يقام في، وبحسب الاصطلاح الذي تواضع عليه العرب. يقول الجرجاني:" إنَّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في نفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها فوائد وهذا علم شريف وأصل عظيم، والدليل على ذلك أنَّ إنْ زعمنا أنَّ الألفاظ التي هي أوضاع اللغة وضعت ليُعرف بها معانيها في أنفسها لأدى ذلك إلى ما لا يشك عاقل في استحالته، وهو أن يكونوا وضعوا للأجناس الأسماء التي وضعوها لها لتعريفها"[18].

إنَّ تحقيق الانسجام بين الألفاظ يفعّل بلاغة الخطاب القولي، وهو الذي ينحت دلالة المعنى، حيث تقوم دلالة النص على آفاق تختص بأبعاد دلالية يتفق عليها المجتمع قبل تأسيسها عند الفرد، لذلك تجد الجرجاني يعمد إلى التركيز على الأهمية التي تواضع العرب في تسمية المسمى بتلك اللفظة.

www.manaraa.com

إنَّ الملاحظ لجهود العرب القدامى يكتشف أنَّ الخطاب لم يكن خافيا عليهما حيث ما تعكسه المفاهيم السابقة، ودلالة النظم عند الجرجاني،قد وقّع تفاصيله معالم الخطاب في القرون الحديثة،إضافة إلى معرفتهم بالأهمية التداولية في الحقل

3-الخطاب الروائي:

يعد الخطاب الروائي مركباً في غاية التشعب والتعقيد لأنَّه يتضمن في طياته عالما ينحت فيه مختلف الشخوص، ومعمارية مذهلة تكون الأحداث السردية التي تشمل على زمان ومكان يتربع على عرشها، ولعل هذا الخطاب يشخص مقولتين تتمثلان في عالم السارد ومرجعية الخطاب الواقعية والنصية التي تفضي إلى متعة الاستقصاء والبحث.

تستقي هذه التشكيلة الخطابية " ترتيب وتنظيم الوقائع والأحداث وتواليها حسب المنطق المختلف والمتغاير ضالته، لذلك فالكاتب الذي يرغب في التفرد والتميز على المستوى العام في الساحة الإبداعية ينحت له طريقة خاصة في ترتيب وحدات النص الروائي، وتعاقب الأحداث وتفككها وتقديم بعضها على البعض الآخر"[19].

إنَّ البنية المعمارية التي تشكل هذا العالم المتكامل تفضي إلى هندسة خاصة تبني حيثياتها وفق رغبات الروائي، وضمن متطلبات العملية الإبداعية، ولعل ميزة هذا التشكيل هو تفرده في تقديم عرض بانورامي لوحدات خطابية سردية تشكل مع المتعة الإستيطيقية، مما يجعل التنظير والتقعيد للخطاب الروائي ذا صعوبة بالغة نظرا لحلته الخاصة.

وبالرغم من تلك المميزات إلا أنَّه استقطب اهتمام الدارسين، وكان مجالا خصبا لإضفاء ممارسات تنظيرية فعلية، حيث شهد تطورا مذهلا أنبأ بكثافة الدراسة به.

إنَّ ما نصطدم به في أول خطوة نعتليها لعبور جسر الخطاب الروائي؛ هي الضوابط والفواصل التي تفصل ما بين الخطاب والحكي والقصة؛ ويلزمنا هنا البحث مقاربة المصطلحات والكيفية التي عالج بها النقاد والمنظرون المصطلحات الثلاثة، وما هي جوانب الائتلاف والاختلاف من منظورهم؟

إنَّ هذا الاقتراح القبلي الذي أردنا العبور من خلاله يستوقفنا لحظة نحو المجهود المبذول من بداية البنيوية حتى العصر الراهن حيث مازال الخطاب الروائي مادة للدرس والبحث، لكننا سنقف على أهم الجوانب المتعلقة به.

أ-الخطاب عند الشكلانيين الروس:

أسهم الشكلانيون الروس في نحت معالم الخطاب الروائي، حيث دعوا إلى ابتكار علم جديد يسمى ببويطيقا الرواية، وقد ارتبط مفهوم الرواية لديهم "بنظرية النثر عامة التي تقتصر على مشكل تركيب الأثر الأدبي، وتتصل بتقاليد الأشكال المكتوبة ... فلا يخرج مفهوم الرواية عن نظرية السرد، فلسرد كما يرى (بوريس اخنباوم) أشكال تتجه إلى القارئ وليس إلى المستمع،كما أنَّها بنيت انطلاقا من علامات مكتوبة، وليس انطلاقا من

www.manaraa.com

الصوت. "[20]

تقيم هذه المدرسة بنيتها الابستيمولوجية المتمثلة في تحليل وضبط الهيكلة المورفولوجية داخل الدراسة الأدبية، وبالتخصيص في الجنس الروائي، حيث ساهمت في لفت الانتباه إلى الشكل الفني للغة الموظفة داخل النص، وبالتالي دعت إلى البحث في إطار ما هو مكتوب.

كانت الدراسة تستقيم في إعطاء فرصة لتحليل النص السردي ومحاولة فهمه؛ فالاهتمام ينصب في تحديد "الأنساق البنائية في العمل الحكائي انطلاقا من إقامة تماثل بين أنساق تركيب المبنى الحكائي، وبين أنساق الأسلوبية في الاستعمال الجاري للغة، وهذا ما نعاينه بجلاء من خلال أبحاث (شلوفسكي) عن بناء القصة القصيرة والرواية، و(توماشفسكي) في دراسته عن نظرية الأغراض. "[21]

تتمفصل البنية الحكائية في النسج الروائي حول إقامة علاقة تعاضدية داخلية تتهيكل في إطار عام بنفس الطريقة التي تقام بها بنية النص، فالوحدات اللغوية والأسلوبية مؤطرة ومحددة داخل الفعل اللغوي مثلها مثل البنية الحكائية التي تؤسس لواقع التسلسل والتواجد في خطاب الرواية.

1- آراء إخنباوم:

يؤسس بوريس ايخنباومEikhenbaum B أهم المحطات التي عُني بها نقد الشكلانيين الروس، حيث يركز على مقولة السارد وتصنيفها داخل العمل الروائي، ويشكل تصوره حول نظرية القصة في كتابه (نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس)، إذ يطرح في خضم تحليله لرواية [المعطف]لغوغول أهم متعلقات تلك النظرية.

تقوم فكرته الأساسية في التمييز بين السرد الحكائي Narratif والسرد التشخيصي Representatif،"إنّ ما يعنيه بالسّرد التشخيصي هو السّرد الذي يتجلّى فيه حضور السارد بطرق مختلفة فيصبح أشبه بممثل يجسّد حضوره بوسائل لغوية ومواقف فكريّة، ولكنه في كلّ الحالات يؤدّي لعبة معقدّة، يظهر ويختفي، يصرّح ويلمّح، ويهادن ويشاكس فيتموّج الخطاب تموّج حضور السّارد، يتنوّع تنوّع المادة السردية التي يوظفها، ويختلف اختلاف الموقع الذي منه يطل ويرى."[22]

يقتضي هذا النوع من السرد اقتفاء حفريات الذات من وجهة السارد داخل الخطاب الروائي، حيث يستقيم تشخيصه وفق نظام لغوي تجريدي، إذ إنَّه يمارس لعبته في خضم توالي الأحداث السردية، وهذا ما يعلن اختلافه عن النوع الأول الذي يكتفي بطرح الأحداث السردية ضمن مسار سردي معين.

يركز هذا الشكلاني على أهمية السرد التشخيصي ودوره في تفعيل الخطاب، حيث يرى هذا النوع من التخطيط السردي " مفهوماً إجرائياً أساسيّاً يسم الرّواية باعتبارها جنساً سردياً"[23].

إنَّ ما يؤسس لبلورة الإطار النظري في الرواية هو رصد تحركات السارد في تفاصيل البنية السردية، حيث يتم التأكيد على أنَّه يقوم بإضفاء عنديات التي تسهم في فهم استراتيجية الخطاب داخل المنظور الروائي.

www.manaraa.com

2 – نظرية الأغراض عند توماشفسكي:

انتهج توماشفسكي Tomashevsky سبيلا تأطيريا للشكل الروائي، حيث دعا إلى إقامة نظرية للأغراض، وهي تعتمد بدرجة كلية على طرح أحادي المفهوم يتمثل في أنَّ كل عمل يمكن أن يكون له غرض أو حافز، لذلك اعتمد على محاولة فهم الظواهر الخاصة بالخطاب السردي.

يقوم مفهوم الحافز في دراسته على أنَّه "الوحدة الغرضية الصغرى التي يستحيل تفكيكها، فهذه الجملة (عند العصر كان العرق يتعقد كثيفا على جبينه) من رواية (الثلج يأتي من النافذة) تمثل حافزا،وكل جملة تتضمن في العمق حافزا خاصا بها"[24].

يعكس هذا المصطلح الصورة التبسيطية للأفعال التي تقام في الرواية، حيث يعد هو الفعل الواحد الذي تقوم به الشخصية، وهكذا تتوالى الأفعال حتى تؤسس النظام القصصي.

إنَّ تشكيل البنية القصصية بهذا النمط الحافزي يطرح تمييزا يتمثل في المتن الحكائي والمبني الحكائي، يتعلق الأول بالحكاية وصياغتها الفنية وفي كيفية تنسيقها داخل الأحداث، حيث تعرض بطريقة عملية حسب النظام الطبيعي للزمن "وفي مقابله يوجد المبنى الحكائي الذي يتألف من نفس الأحداث بيد أنَّه يراعي نظام ظهورها في العمل، كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعينها"[25].

تستقي أهمية المبنى الحكائي في أنَّه جزء مهم من القصة، وإذا حذف اختلت الحكاية نفسها، في حين أنَّ الآخر لا يؤثر في انسجامها بقدر ما يتعلق بالصياغة الفنية.

يقدم توماشفسكي برنامجا تأطيريا يقوم على تفكيك آليات إنتاج تركيب النصوص الروائية، وبذلك تشاكل هذه الصورة ما قدمه أصحاب اللسانيات في اعتمادهم على نمط الجملة ووجه التشابه يكمن في بنية الحافز باعتبارها أصغر وحدة موجودة في الخطاب الروائي.

3– إنشائية الخطاب عند تودوروف:

تأثر الناقد تزيفيتانتودوروف Todorov Tzvetan بالأعمال التي سبقته، وخاصة بأعمال الشكلاني ينالروس، وأشار إلى أهميتها في استكمال وجود الخطاب الروائي، وقد استخدم محاكاة الجانب النحوي" على أساس جعل العلاقة بين الدراسات اللغوية ودراسة الرواية علاقة تبادلية، قائمة على التأثير والتأثر،فهي تمضي في اتجاهين: من اللغة إلى الرواية، ومن الرواية إلى اللغة؛ بحيث يمكن أن نستعير مقولات الدراسات اللغوية وتصنيفاتها، وفي الوقت نفسه قد تمكننا دراسة الرواية من تصحيح صورة النحو"[26].

تدل المقولة السابقة على البنية الابستيمولوجية التي تقيم الخطاب الروائي عنده،حيث تعتني دراسة الرواية بالأهمية النحوية باعتبارها الفاعل في العبارة السردية، وبذلك تجردها من مقولات البنية الدلالية لينصب الاهتمام على البنية الملفوظية.

www.manaraa.com

إنَّ إقامة ضوابط سردية عنده تنهل من توظيف الأطر المرجعية التي قَعّد لها الأولون من أمثال بنفنيستوتوماشفسكي، وتوظيفها داخل إستراتيجيته التي تروم إلى عقد علاقة مضمونها أنَّ " مكونات الخطاب الحكائي ... هي مكونات الجملة الفعلية، وهذا التماثل بين الجملة الفعلية والخطاب الحكائي هو الذي على أساسه يمكن أن نقيم تحليلا بويطيقيا وعندها يبين تودوروف كون ما يهمنا بالدرجة الأولى هو طريقة الحكي [الخطاب]"[27].

تخضع الترسيمة الحكائية في الخطاب إلى نفس التصور الذي يؤطر الصيغ النحوية، إذ تستقيم بنيتها في تكوين نظرية للسرد تعتمد بدرجة كلية على كيفية نقل المادة الحكائية وكيفية عرضها داخل الخطاب.

من هذا التأسيس اشتغل على مقولتي الخطاب والحكاية، حيث أراد وضع صيغة تلزم التمييز بينهما، ونرى ذلك بوضوح في " تحليله لرواية (شودارلو دي لاكـوdelaclos (Choderlos (العلاقات الخطرة Les liaisons dangereuses)مخصصا المستوى الأول لمنطق الأحداث وللشخصيات وعلاقاتها، والمستوى الثاني لزمن القص Temps du récit، ولأنماط القص Les aspect du récitولصيغ القصLes mode du récit"[28]

يتكون العمل الروائي من هذين المظهرين (الخطاب، القصة) " فهو قصة من حيث أنَّه يذّكر بحقيقة ما لأحداث يفترض أنَّها وقعت، ولشخصيات تتماثل مع شخصيات الحياة الحقيقية ...لكن العمل الأدبي هو في الوقت نفسه خطاب: حيث يوجد راو يروي الحكاية يقابله قارئ يتلقى هذه الحكاية"[29].

تشتغل الآلية السردية في ضمان وجود كل من الخطاب والقص في نفس الوقت، غير أنَّ العنصر المهيمن الذي يميز أحدهما عن الآخر يتمثل في مدى ارتباطهما بالمرجعية الواقعية أو التخيلية القابلة للتصديق أو المرجعية النصية القائمة على الوحدات الخطابية، إذ يقتضي الخطاب كينونته داخل رحم النص مرتبطا بكل حيثياته، وهذا لا ينكر المرجعية القصصية التي تلتصق بالواقع.

إنَّ هذا التمييز الذي يبنيه تودوروف في خضم كلامه عن السرد يؤسس للبنية الإنشائية داخل المنظومة السردية، والسؤال الذي يفرض نفسه هو من أين تأخذ الشعرية بنيتها؟

إنَّ الأدبية تضمن وجودها داخل مستوى الخطاب وليس القصة، لأنَّه لا أهمية لهذه الأخيرة على المستوى الإجرائي فهي "تجريد Abstractionلأنَّها دائما تتلقى وتحكى من طرف شخص ما، إنَّها غير موجودة في ذاتها"[30].

تعكس وجودية القصة في تكوينها نظاما آليا يضمن تقبله في إطار توفر سلسلة من الأحداث المرتبطة،حيث يرجح هدفها في قيام بنية متكاملة للحكاية، في حين أنَّ الخطاب يتمظهر مع كل زاوية سردية تعلن التمرد والانزياح عن المألوف الذي يبني معالمه داخل معمارية اللعب باللغة.

تتجلى الأهمية المقارناتية بين الخطاب والقصة في تسليط الضوء على الزمن داخلهما "فنظام الزمن الحاكي (زمنالخطاب) لا يمكن أبدا أنَّ يكون موازيا تماما لنظام الزمن المحكي (زمن التخييل) ... فزمنية الخطاب أحادية البعد،وزمنية التخييل (القصة)متعددة"[31].

www.manaraa.com

ونتيجة لتأثره بالشكلانية الروسية يطلق على المتن الحكائي (زمن التخييل) أي زمن القصة وهو يعني زمن العالم المقدم في الرواية، كما أطلق على المبنى الحكائي (زمن الخطاب)، ويوضح مؤكدا بأنَّهما لا يتشابهان، فهذا الأخير يتشكل وكأنَّه زمن خطي في حين أنَّ الآخر متعدد،ولذلك يلجأ السارد إلى تكسير نمط زمن الخطاب من خلال تحريف زمني لغرض التمرد على تلك الخطية، وهذا يعكس الاختلاف القائم بين الزمنيّن.

4- الخطاب عند جيرار جنيت:

عكس جيرار جنيتGennette الحضور الثاني للمخلّفات التنظيرية السابقة للخطاب، Gérard حيث انطلق من الجزئيات التي نظر لها بنفنيست، واستثمرها في برنامجه السردي،وقد كان التركيز على مواكبة المستوى التحليلي النحوي له.

يستهدف هذا البرنامج السردي إلى إقامة منظومة سردية ثابتة تحاور اللبنة المجردة التي نتحكم في قوام تشكيلها وتكون محافظة على النزعة الشعرية الهادفة إلى البحث في مقومات النصوص الداخلية " لإقامة نظرية عامة في أشكال أدبية تستكشف إمكانات الخطاب .... وبهذه الصفة يمثل التيار النقدي الطامح إلى توضيح فعل الكتابة ذاتها"[32].

ترسم المنظومة السردية وجودها في ثنايا كتابه (خطاب الحكاية) حيث تستقيم الرؤية لتصوراته في خضم تحليله لرواية (الزمن الضائع) لمرسيل بروست؛ إذ يقول في هذا الشأن:" ومن ثمة سيكون تحليل الخطاب السردي في نظرنا هو ــ أساسا ــ دراسة العلاقات بين الحكاية والقصة، وبين الحكاية والسرد، وبين القصة والسرد ويؤدي بي هذا الموقف إلى اقتراح تقسيم جديد لحقل الدراسة"[33].

يحاول جيرار جنيت توضيح العلاقة بين العناصر الثلاث من خلال مقولات:الزمن،الصيغة، الصوت السردي؛ إذ تعكس مقولة الزمن علاقة الحكاية بالقصة، ويتم العكس في عنصر الصيغة، أما فيما يتعلق بالصوت السردي فإنَّه يضم علاقة بين الحكاية والسرد وبين القصة والسرد.

يعود الفضل في بلورة المفارقات بين العناصر السابقة (القصة،الحكي، السرد) إلى إضاءة إشكالية الزمن والبحث في تحركاته وتشكيلاته المختلفة داخل النص الروائي حيث يصبح مادة أساسية تقيم الفروق والفواصل.

يعتبر الزمن أكثر العناصر تجليا في ثنايا الحكي كما أنَّه يترجم بنية مركبة معقدة تتأسس بفعل الانحرافات الزمنية والتلاعب الزمني عن طريق كسر خطية الزمن التقليدي من أجل إضافة فضاء متداخل ينضوي فيه بنية استيطيقية.

من الواجب الاهتمام بالبنية الحكائية في منظورها الزمني " فموضوعنا هنا هو الحكاية بالمعنى الضيق الذي نخصصه من الآن فصاعدا لذلك المصطلح، ومن البديهي كثيرا، فيما أظن أن يكون مستوى الخطاب السردي هو الوحيد من بين المستويات الثلاثة التي ميزنا بها الآن، الذي يعرض نفسه مباشرة للتحليل والذي هو نفسه أداة الدراسة الوحيدة التي كنا نملكها في حقل الحكاية الأدبية"[34].

تطرح فكرة الحكاية داخل المقولة الزمنية فكرتان أساسيتان تتعلق الأولى بالزمن الأول الذي يشمل زمن الحكاية أي زمن وجود الأحداث، في حين أنَّ الزمن الثاني يشكل بفعل مقاربة الانتظامات الزمنية

www.manaraa.com

على مستوى الخطاب والقصة، لذلك من الواجب دراسة المفارقة الزمنية باعتبارها تمارس ذلك الخرق النظامي لحركيته.

ولعل حديثه يكون أكثر دقة عندما أراد " تجنب الإبهام والغموض سعى جنيت إلى التوضيح التالي:

1ـ القصة هي المدلول أو المضمون السردي

2 ـ الحكي هو الدال أو الملفوظ أو الخطاب أو النص السردي

3 ـ السرد هو فعل السرد"[35].

يشتغل هذا الطرح المعرفي إلى تطوير مفاهيم إجرائية تقوم عليها البنية السردية فهي " أقرب من غيرها إلى الشمول والدقة والوضوح وقد دأب أغلب المشتغلين بالأدب القصصي اليوم على الاعتماد عليها في مسألة التمييز بين مكونات الخطاب السردي وإشكالية الأزمنة القصصية"[36].

خاتمة:

نلاحظ من خلال هذه المفاهيم والتنظيرات الغربية التي تسعى إلى قراءة النص الروائي وتحليل خطابه، أنّها حاولت جاهدةً ملامسة الواقع النصي من خلال ظاهره المتكون من الملفوظ السردي، كما أنها صنعت إطاراً تنظيريا يساعد القارئ على فهم أهم مكونات الخطاب الروائي.

الهوامش:

1- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (خطب)، دار الصادر، بيروت، الطبعة الأولى،1955، الجزء الأول، ص361.

2-الفراهيدي، خليل بن أحمد، العين، مادة (خطب) ، دار إحياء التراث العربي، دط، دت، ص 252

3- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، دط، 1986، ص235.

4- سورة ص، الآية 20.

5- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار بن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 2003، ص678.

6- بييتربروكر، الحداثة وما بعد الحداثة،ترجمة: عبد الوهاب علوب، مراجعة: جابر عصفور، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى،1995، ص43.

7- شرشار عبد القادر، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، دار القدس العربي، الجزائر، الطبعة الأولى،2009، ص18

8- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 273.

9- أرسطو طاليس، الخطابة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، دط،1979 ، ص 16.

www.manaraa.com

10- عمارة محمود محمد، الخطابة بين النظرية والتطبيق، مكتبة الإيمان، المنصورة مصر، الطبعة الأولى، 1997، ص18.

11- نواري سعودي أبو زيد، جدلية الحركة والسكون [نحو مقاربة أسلوبية لدلائلية البنى في الخطاب الشعري عند نزار قباني، بيت الحكمة،الجزائر، الطبعة الأولى،2009 ، ص 14.

12- قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان [معالمه وأعلامه]، المؤسسة الحديثة للكتاب،لبنان، الطبعة الأولى، 2003، ص 280.

13- الزمخشري، جار الله أبي القاسم، أساس البلاغة، دار الصادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1992، ص 176

14- إبنآجروم، نظم الأجرومية، دار الإمام مالك، الجزائر، الطبعة الأولى، 2002، ص 07.

15- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، دت، ص 286

16- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد عبدو، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة،2001، ص 183.

17- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد عبدو، ص 201.

18- المصدرنفسه، ص 345.

19- محمد المعتصم، بناء الحكاية والشخصية في الخطاب الروائي النسائي، ص 81

20- محمد الباردي، في نظرية الرواية، سراس للنشر، تونس، د ط، د ت، ص75.

21- سعيد يقطين تحليل الخطاب الروائي [الزمن السرد التبئير]، ص29

22- محمد الباردي، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، ص 10.

23- المرجع نفسه، ص 10.

24- محمد الباردي، في نظرية الرواية، ص78

25- محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية [دراسة في نقد النقد]، ص 171

26- السيد إبراهيم، نظرية الرواية [دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء،مصر، دط، 1998، ص42

27- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي [الزمن، السرد التبئير]، ص 30 ـص 31

28- عبد الوهاب الرقيق، في السرد [دراسات تطبيقية]، ص16

29– Tzvetan Todorov. Catégories Du récit litteraire in communication. N 8 .seuil.1981 . P 132

30– Tzvetan Todorov. Catégories Du récit litteraire in communication. P133

31- تزيفتان تودوروف، الشعرية، ترجمة: شكري مبخوت ورجاء سلامة، دار توبقال، الطبعة الثانية، 1990، ص48.

32- جيرارجينيت، خطاب الحكاية [بحث في المنهج]، ترجمة:محمد معتصم وآخرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، دط، دت، ص13.

33- المرجع نفسه، ص 40

34- المرجع نفسه، ص39

35- محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية [دراسة في نقد النقد]، ص 172

36- عبد الوهاب رقيق، في السرد [دراسة تطبيقية]، ص 27

www.manaraa.com